لتفعل قال جئت أسألك عن آية من كتاب الله عز وجل كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأها قالت اية آية قال الذين يؤتون ما آتوا والذين يأتون ما أتوا فقالت ايتهما احب
اليك فقلت والذي نفسي بيده لاحدهما احب من الدنيا جميعاً او الدنيا وما فيها قالت ايهما
قلت الذين يأتون ما أتوا فقالت اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرأها
وكذلك انزلت ولكن الهجاء حرف ٥ إسمعيل بن مسلم المكي ضعيف والمعنى على القراءة الاولى
وهي قراءة الجمهور السبعة وغيرهم اظهر لانه قال اولئك يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون فجعلهم من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الاخرى لاوشك ان لا يكونوا من
السابقين بل من المقتصدين او المقصرين والله اعلم ٥

ولا نكلف نفساً الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم
لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم اعمال من دون
ذلك هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا
هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون
قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون
مستكبرين به سامراً تهجرون ٥

يقول تعالى مخبراً عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا انه لا يكلف نفساً
الا وسعها اي الا ما تطيق حمله والقيام به وانه يوم يحاسبهم باعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب
مسطور لا يضيع منه شيء ولهذا قال ولدينا كتاب ينطق بالحق يعني كتاب الاعمال
وهم لا يظلمون اي لا يبخسون من الخير شيئاً واما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده
المؤمنين ٥ ثم قال منكراً على الكفار والمشركين من قريش بل قلوبهم في غمرة اي غفلة وضلالة
من هذا اي القرآن والذي انزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ٥ وقوله ولهم اعمال
من دون ذلك هم لها عاملون ٥ قال الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس ولهم اعمال اي سيئة
من دون ذلك يعني الشرك هم لها عاملون قال لا بد ان يعملوها وكذا روي عن مجاهد والحسن
وغير واحد وقال آخرون ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون اي قد كتب عليهم
اعمال سيئة لا بد ان يعملوها قبل موتهم لا محالة ليحق عليهم كلمة العذاب روي نحو هذا عن مقاتل
بن حيان والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وهو ظاهر قوي حسن ٥ وقد قدمنا في
حديث ابن مسعود فوالذي لا اله غيره ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها ٥ وقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم

٢١

بالعذاب اذا هم يجأرون يعني حتى اذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه
ونقمته بهم اذا هم يجأرون اي يصرخون ويستغيثون كما قال تعالى وذرني والمكذبين اولي
النعمة ومهلهم قليلاً ان لدينا انكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً اليماً وقال تعالى كم اهلكنا
من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص ٥ وقوله لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون
اي لا يجيركم مما حل بكم جأرتم او سكتم لا محيد ولا مناص ولا وزر لزم الامر ووجب
العذاب ثم ذكر اكبر ذنوبهم فقال قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون
اي اذا دعيتم ابيتم وان طلبتم امتنعتم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا
فالحكم لله العلي الكبير ٥ وقوله مستكبرين به سامراً تهجرون في تفسيره قولان
احدهما ان مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق واباؤهم اياه استكباراً عليه
واحتقاراً له ولاهله فعلى هذا الضمير في به ثلاثة اقوال احدها انه الحرم بمكة ذموا لانهم
كانوا يسمرون به بالهجر من الكلام والثاني هو ضمير القرآن كانوا يسمرون ويذكرون القرآن
بالهجر من الكلام انه سحر انه شعر كهانة الى غير ذلك من الاقوال الباطلة ٥ والثالث انه محمد
صلى الله عليه وسلم كانوا يذكرونه في سمرهم بالاقوال الفاسدة ويضربون له الامثال الباطلة
من انه شاعر او كاهن او ساحر او كذاب او مجنون وكل ذلك باطل بل هو عبد الله ورسوله
الذي اظهره الله عليهم واخرجهم من الحرم صاغرين اذلاء ٥ وقيل المراد بقوله مستكبرين
به اي بالبيت تفتخرون به وتعتقدون انكم اولياؤه ولستم بهم كما قال النسائي في التفسير من سننه
اخبرنا احمد بن سليمان انا عبيد الله عن اسرائيل عن عبد الاعلى انه سمع سعيد بن جبير
يحدث عن ابن عباس انه قال انما كره السمر حين نزلت هذه الآية مستكبرين به سامراً تهجرون
فقال مستكبرين بالبيت يقولون نحن اهله سامراً قال كانوا يسمرون ولا يعمرونه ويهجرونه
وقد اطنب ابن ابي حاتم هنا بما هذا حاصله ٥

افلم يدبروا القول ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ام لم
يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم
بالحق واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت
السماوات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن
ذكرهم معرضون ام تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو
خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا
يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)